

الأشكال والألوان محسوسة بذاتها كما تراها ، وإنما ابتدع لنقل الشعور بهذه الأشكال والألوان من نفس إلى نفس . وبقوة الشعور وتيقظه وعمقه واتساع مداه ونفاذه إلى صميم الأشياء يمتاز الشاعر على سواه . ولهذا لا لغيره كان كلامه مضطرباً مؤثراً ، وكانت النفوس توافقه إلى سماعه واستيعابه لأنه يزيد الحياة حياة ، كما تزيد المرأة النور نوراً ، فالمرأة تعكس على الوجدان إحساساً بوجوده . وصفوة القول أن الحك الذي لا يخطيء فى نقد الشعر هو إرجاعه إلى مصدره ، فإن كان لا يرجع إلى مصدر أعمق من الحواس فذلك شعر القشور والطلاء وإن كنت تلمح وراء الحواس شعوراً حياً ووجداناً تعود إليه المحسوسات ، كما تعود الأغذية إلى الدم ، ونفحات الزهر إلى عنصر العطر ، فذلك شعر الطبع القوى والحقيقة الجوهرية ، وهناك ما هو أحقر من شعر القشور والطلاء وهو شعر الحواس الضالة والمدارك الزائفة ، وما أخال غيره كلاماً أشرف منه إلا بكم الحيوان الأعجم .

وهذا كلام رائع يدل على فهم صحيح لحقيقة الشعر كما يفهمه الغربيون ، وإن كنا نلاحظ أن يجمع ويمزج بين عدة مذاهب شعرية تتصارع ولا تزال تتصارع فى الغرب ، مما يقطع بأنها خلاصة الرواسب التى استقرت فى نفس العقاد وصحبه من مراجعاتهم لشعر الغربيين ومذاهبهم الشعرية .

فالعقاد فى هذه الفقرات القوية المركزة يريد من الشاعر أن يكشف لنا عن لباب الأشياء ، ولكننا فى الحقيقة لا نعرف عن هذا اللباب شيئاً ، ولا يزال الفلاسفة يقتلون حول تحديده ، فمنهم الوضعيون الذين يسلمون بوجود الأشياء وجوداً حسياً منفصلاً عن